﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المائدة: 61]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بعد ذكر ضلالهم بيّن أنهم لا ينتفعون بالوعظ

لمّا وعظهم وبيّن سوء منقلبهم أخبر هنا عن انتفاء انتفاعهم من الوعظ والإرشاد، فقد "دخلوا وهم كفار وخرجوا كذلك، لم تنفعهم الموعظة ولا نفع فيهم التّذكير"[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَكْتُمُونَ﴾: (كَتَمَ) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى إِخْفَاءٍ وَسَتْرٍ، كتم الشّيء: أخفاه، والكِتمانُ: نقيض الإعلان، وهو ستر الحديث. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾[2]، ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ﴾ من كفرهم[3]. فأخفوا الكفر وأعلنوا الإيمان.

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

إخبار عن سلوك المنافقين وانتفاء انتفاعهم من الدّعوة بشيء

يخبر الله تعالى عن سلوك المنافقين وما يكتمون فهم إذا رأوكم أيّها المؤمنون أظهروا لكم الإيمان نفاقًا منهم، والواقع أنّهم عند دخولهم وخروجهم مُتلبّسون بالكفر لا ينفكّون عنه، لم يتعلّق بهم شيء ممّا سمعوا به من تذكيرهم بآيات الله تعالى والمواعظ، والله أعلم بما يُضمرونه من الكفر إن أظهروا الإيمان لكم، وسيجازيهم على ذلك[4].

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/214.
(2) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة، والرّاغب، المفردات، والفيروزابادي، بصائر ذوي التمييز: (كتم).
(3) مكيّ بن أبي طالب، الهداية: 3/1795.
(4) الزمخشري، الكشاف: 1/653، والرازي، مفاتيح الغيب: 12/392، ونخبة من العلماء، المختصر في تفسير القرآن الكريم: 1/118.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغة العطف:

عطف نفاقهم على استهزائهم في الدّين، تحذيرًا ممّن أعلن كفره ومن أخفاه

قوله جلّ شأنه: ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ عطف على قوله: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا﴾ خصَّ ذكرَ المنافقين من اليهود، وهم من جملة المستهزئين استكمالًا للتّحذير منهم، فحذّر من معلني الكفر منهم ومن المنافقين[1].

السّرّ في التعبير بـ (إذا):

قوله جلّ شأنه: ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ عبّر بـ (إذا) عن زمان قولهم ذلك وتكراره، فهم كانوا يقولون ذلك وقت رؤية المؤمنين، مواظبين عليه فيكرّرونه في كلّ مجيء؛ إيماءً إلى قلقهم، وإصرارهم على الكذب.

عبّر بـ (إذا) للدّلالة على أنّهم كانوا يكرّرون ذلك القول عند كلّ رؤية للمؤمنين، وإشارةً إلى إصرارهم على الكذب.

المراد بضمير الفاعل:

اليهود عامّة، والمنافقون منهم خاصّة

قوله جلّ شأنه: ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ الضّمير في ﴿جَآءُوكُمْ﴾ لليهود المعاصرين للنّبيّ ﷺ وخاصّة للمنافقين منهم[2].

دلالة الواو الدّاخلة على الجملة:

أفادت الواو الدّلالة على الحال، لبيان أنّ دخولهم كان في حالة ظهور علامات النّفاق عليهم

قوله جلّ شأنه: ﴿وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ﴾ دخلت الواو على الجملة للدّلالة على الحال، وهو متعلق بـ ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾، أي قالوا ذلك وهذه حالهم في دخولهم وخروجهم على الدّوام[3].

دلالة (قد)

قوله جلّ شأنه: ﴿وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ﴾

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 6/247.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/214، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 2/134.
(3) النسفي، مدارك التنزيل: 1/458، وابن جزي، التسهيل: 1/237.

دخلت (قد) على الجملة ليصحّ مجيء الحال منها، لأنّ فعلها ماضٍ، وأفادت لما فيها من التّوقع والتّأكيد أنّ أمارة النّفاق كانت لائحة عليهم[1].

دلّت (قد) على ظهور علامات النّفاق عليهم

فائدة الإلصاق المدلول عليه بالباء:

قوله جلّ شأنه: ﴿وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلۡكُفۡرِ وَهُمۡ قَدۡ خَرَجُواْ بِهِۦۚ﴾ دخلت الباء على الكفر في حالة الدّخول وحالة الخروج للدّلالة على أنّ الكفر باقٍ معهم، متلبّسًا بهم في كلتا الحالتين من غير نقصان، ولا تغيير فيه البتّة[2].

الإلصاق في الباء يدلّ على التصاق الكفر بهم أبدًا

الوظيفة التّركيبية للجار المجرور:

قوله جلّ شأنه: ﴿بِٱلۡكُفۡرِ وَهُمۡ قَدۡ خَرَجُواْ بِهِۦۚ﴾ الجارّ والمجرور في قوله: (بِالكُفرِ) و(بِهِ) حالان، أي دخلوا كافرين وخرجوا كافرين. وتقديره: ملتبّسين بالكفر، فهو معهم في كلّ أحوالهم، والمعنى أنّهم لم ينتفعوا بشيء من سماعهم النّبيّ ﷺ، بل خرجوا كما دخلوا[3].

دلّ الجار والمجرور على تلبّس الكفر بهم في كلّ حال، ولم ينتفعوا من سماع الدّعوة بشيء

التّأكيد بالضّمير:

قوله جلّ شأنه: ﴿وَهُمۡ قَدۡ خَرَجُواْ بِهِۦۚ﴾ أكّد الكلام بالضّمير، فلم يقل: (وقد خرجوا به)؛ لأنّه أراد تعيينهم بالكفر، هم بأعيانهم، وتمييزًا لهم عن غيرهم بهذه الصّفة[4].

أكّد الكلام بالضّمير لتعيينهم وتمييزهم بهذه الصّفة

الفائدة في ذكر كلمة (هم) التّأكيد في إضافة الكفر إليهم، ونفيُ أن يكون من النّبيّ ﷺ، بل هم الذين خرجوا بالكفر باختيار أنفسهم، لا أنّك أنت الذي تسبّبتَ لبقائهم في الكفر[5].

أفاد الضّمير إضافة الكفر إليهم لأنّهم هم السّبب فيه لا أحد غيرهم

(1) الرازي، مفاتيح الغيب: 12/392، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 2/134، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/310، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/57.

(2) الرازي، مفاتيح الغيب: 12/392، والنسفي، مدارك التنزيل: 1/458.

(3) الواحديّ، البسيط: 7/449 - 450، والزمخشري، الكشاف: 1/653، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 6/237.

(4) الواحديّ، البسيط: 7/450، وابن عطية، المحرر الوجيز: 2/214.

(5) الرازي، مفاتيح الغيب: 12/392، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/310، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 3/144، والنيسابوري، غرائب القرآن: 2/612.

إيثار التعبير عن كفرهم بالجملة الاسمية:

قوله جلّ شأنه: ﴿وَهُمۡ قَدۡ خَرَجُواْ بِهِۦۚ﴾ إنّ التّعبير بالجملة الاسمية الواقعة حالًا، مع تكرار الضّمير (هم)، و(واو الجماعة) أكثر تأكيدًا في الدّلالة على المعنى، وهذا يطابق الواقع؛ فإنّ رؤيته ﷺ كافيةٌ في إحداث الإيمان، فكان المناسب أنّهم إذا دخلوا بالكفر أن يخرجوا بالإيمان؛ فلمّا لم يخرجوا مؤمنين أكّد وصفهم بالكفر بتكرار الضّمير في المسند إليه والمسند، تنبيهًا على تحقّقهم بالكفر[1].

آثر التّعبير عن كفرهم بالجملة الاسمية؛ لأنّها أكثر تأكيدًا على كفرهم، إذ لم ينتفعوا من رؤية النبيّ (ﷺ)

الحكمة من الإخبار عن كفرهم في حالتي الدّخول والخروج:

قوله جلّ شأنه: ﴿وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلۡكُفۡرِ وَهُمۡ قَدۡ خَرَجُواْ بِهِۦۚ﴾ أثبت لهم الكفر في حالة الدّخول والخروج؛ بيانًا لقسوة قلوبهم الشّديدة، وتسجيلًا على أنّ حالهم لم يتبدّل، وإظهارًا لكذبهم في قولهم ﴿ءَامَنَّا﴾[2].

أخبر عن كفرهم في الحالين، بيانًا لشدّة كفرهم، وتكذيبًا لادّعائهم الإيمان، وإظهارًا لنفاقهم

الحكمة من الاستئناف:

قوله جلّ شأنه: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكۡتُمُونَ﴾ جملة استئنافيّة، لفضحهم وبيان أنّ كتمانهم إذا جرى على النّاس فإنّ الله يعلم ما يسرّون وما يعلنون، ومبالغة في إفشاء ما كانوا يكتبونه[3].

فضحهم بكشف ما يخفون، وبيان مبالغتهم في الكيد بالمسلمين

فائدة الإخبار بعلم الله تعالى بعد بيان كفرهم ونفاقهم:

قوله جلّ شأنه: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكۡتُمُونَ﴾ أخبر الله تعالى عن علمه بما يكتمون من الكفر، وعيدًا لهم وتهديدًا[4]، فالغاية من الإخبار بالعلم بما يكتمون الإيماء إلى ما يقتضيه ذلك العلم من الحساب وما يتبعه من العقاب؛ فكان ذلك تهديدًا ووعيدًا لهم.

الإخبار عن العلم بالأسرار يدلّ على التّهديد والوعيد

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/310 - 311.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 6/247.
(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 2/214، والرازي، مفاتيح الغيب: 12/392، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/311.
(4) البيضاوي، أنوار التنزيل: 2/134، والشربيني، السراج المنير: 1/384، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/57.

إيثار التّعبير بلفظ الجلالة:

قوله جلّ شأنه: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكۡتُمُونَ﴾ صُدرت العبارة بلفظ الجلالة ﷻ؛ استحضارًا للمهابة، وتعظيمًا لعلمه؛ فلا يخفى عليه شيء في الأرض، ولا في السماء، ولا ما يكتمونه[1].

آثر التّعبير بلفظ الجلالة تربية للمهابة، وتعظيمًا لعلمه ﷻ

دلالة أفعل التّفضيل:

قوله جلّ شأنه: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ﴾ عبّر عن علمه ﷻ باسم التّفضيل، ولا يراد منه المفاضلة؛ إذ لا يوجد أحد له علمٌ من جنس علم الله تعالى لتجري المقارنة بينهما، بل المراد الزّيادة مطلقًا؛ مبالغةً في علمه، فهو يعلم علمًا لا يدانيه علم، وليس فوقه علم، وهو أعلى ما يُتصوَّر من علم[2].

عبّر باسم التّفضيل لمطلق الزّيادة في الصّفة، مبالغة في علمه، فعلمُهُ أعلى ما يُتصوّر من علم

فائدة الجمع بين الفعل الماضي والمضارع:

قوله جلّ شأنه: ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡتُمُونَ﴾ جمع بين الماضي والمضارع في عبارة واحدة للدّلالة على أنّ كتمانهم كان مستمرًّا على الدّوام، وفيه إشارة إلى أنّهم كانوا مصرّين على ذلك، إذ الاستمرار دليل الإصرار.

عبّر بالماضي والمضارع عن كتمانهم للدّلالة على استمرار كتمانهم وإصرارهم عليه

دلالة تعلّق علمه تعالى بكتمانهم المستمر:

قوله جلّ شأنه: ﴿بِمَا كَانُواْ يَكۡتُمُونَ﴾ علّق علمه تعالى بكتمانهم المعبّر عنه بدلالة الاستمرار، للدّلالة على أنّه عليمٌ بما كتموه في الماضي، وما يكتمونه في الحاضر والمستقبل[3].

تعلّق علمه بكتمانهم المستمرّ دلالة على أنّه يعلم ما كتموا في الماضي والحاضر علمًا مستمرًّا

بلاغة الإيجاز بالحذف:

قوله جلّ شأنه: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكۡتُمُونَ﴾ ذكر كتمانهم

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 5/2269.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 5/2270.
(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 5/2270.

على وجه الإطلاق، فلم يذكر المفعول به، ليعمّ جميع ما كتموا من النّفاق، والكفر، والمكر بالمسلمين والكيد بهم، وعداوتهم[1].

حـــــذف ما يكتمونه إيجازًا في الألـفـاظ، وتعميمًا لكلّ ما كتموه

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(يكتمون) و(يسرّون):

الكتم خاصّ بالمعاني، والسّرّ عامّ

المكتوم يختصّ بالسّكوت عن المعاني كالأسرار والأخبار[2]. والسّرّ إخفاء الشّيء في النّفس، ولو اختفى بستر أو وراء جدار لم يكن سرًّا، والأصل في السّرّ تغطية الشّيء بغطاء، وقد يكون السّرّ في غير المعاني مجازًا، تقول: فعل سرًّا وقد أسرَّ الأمر[3].

فقوله جلّ شأنه: ﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكۡتُمُونَ﴾ يناسبه الكتمان؛ لأنّ الذي كتموه هو الكيد والكفر والنّفاق، وهي معانٍ خفيّة، والسّكوت عنها هو كتمانها.

(1) الواحديّ، البسيط: 7/450، وابن عطية، المحرر الوجيز: 2/214، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 6/237، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/311.

(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 287.

(3) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 63.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع، سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 9 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-61-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 9 : سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-61-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3504784 بتاريخ 2023/03/27م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»